السيرة النبوية وأثرها في تقرير أحكام السياسة الشرعية غزوة بدر الكبرى أنموذجا

د: خالد الفلاح
كلية الآداب/ جامعة الزاوية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم أنبياء الله الذي نصره الله وأعزه وآواه، وجعل حياته كلها في سلمه وحربه، وحله وترحاله، وعاداته وعباداته... قدوة للناس، وأسوة حسنة لمن أراد الفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة، وبعد:

فغزوة بدر هي أول صدام حقيقي بين المسلمين والمشركين، وكانت في السنة الثانية من الهجرة، إنها الوقعة العظيمة التي أعز الله فيها الإسلام ودمغ الكفر وأهله، وسماها: يوم الفرقان، قاله ابن عباس، وعروة بن الزبير ومجاهد والضحاك وقتادة ... وغيرهم من المفسرين[1]؛ لأنه فرق فيها بين الحق والباطل، فرق فيها بين المسلمين والكافرين فجعل الولاء للدين، والانتساب لجماعة المسلمين وقطع أواصر الصلة ووشائج الرحم مع الكفار المحاربين، وفرق فيها بين من شهد الغزوة ومن لم يشهدها من المسلمين؛ بل ومن الملائكة المقربين، هذه الغزوة كانت بداية لتغيير حقيقي في بلاد العرب؛ بل في العالم كآفة.

لقد بدأت قوة المسلمين تظهر بقوة، وتثبت وجودها بين القوى الموجودة في ذلك الوقت، وتهزم أقوى القبائل وأعزها، وتسيطر على طرق التجارة القريبة منها، وتسترد ما سلب من أموالها .... غزوة بدر كانت نهاية لصناديد الكفر والعناد الذين حاربوا دعوة الإسلام، ومارسوا الظلم والاضطهاد ضد أهلها، كانت ملحمة من الصبر، والتضحية، والشجاعة، والإيثار، والتشاور، والرحمة...

أسباب اختيار الموضوع:

1- الوقوف عند الغزوة، والتأمل في أحداثها ونتائجها، واستقراء دروسها الكثيرة والمتجددة.

2- البحث عن أسباب الغزوة الحقيقية، لما لها من أهمية في تحديد العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وفي طريقة الدعوة إلى الله سبحانه، ونفي تهمة القتال لأجل المال أو سفك الدماء التي أراد المغرضون إلحاقها بالمسلمين ورسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم .

3- بيان أن حروب المسلمين مع غيرهم كانت لأسباب، ولم تكن في يوم من الأيام لمجرد سفك الدماء وإزهاق الأرواح.

خطة البحث:

قمت بتقسيم هذا البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول : أسباب الغزوة ، وأحداثها ، وأسباب انتصار المسلمين فيها، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: أسباب الغزوة وأحداثها.
- المطلب الثاني: أسباب انتصار المسلمين فيها.

المبحث الثاني: نتائجها، والدروس المستفادة منها، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: نتائج الغزوة.
- المطلب الثاني: الدروس المستفادة منها.

الخاتمة:

وقد لخصت فيها أهم النتائج وأبرزها.

وفي الختام فما كان في هذا البحث من صواب فهو من الله تعالى، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي وأستغفر الله منه، وما هو إلا خطوة لإرشاد الباحثين، وطلبة العلم للمزيد من البحوث حول هذه المواضيع وأمثالها.

المبحث الأول: أسباب الغزوة وأحداثها

- **المطلب الأول: أسباب الغزوة:**

لغزوة بدر أسباب بعضها خاص بها، وبعضها عام في العلاقة التي ساءت بين المسلمين وقريش منذ أن بعث النبي ﷺوأهم هذه الأسباب هي:

1. العداوة التي ناصبتها قريش للمسلمين؛ حيث قتلت بعضهم بمكة؛ كياسر أبي عمار وزوجته سمية وغيرهما، وسجنت البعض ومنعتهم من الهجرة كعياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل، وأبي بصير...، واستولت على أموال المسلمين وتربصت بهم شرا، قال تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ [سورة الأنفال: 30].
2. الاستيلاء على قافلة لقريش خرجت من الشام راجعة إلى مكة، وهذا مقابل استيلاء قريش على أموال المهاجرين وديارهم وممتلكاتهم في مكة[2].
3. تهديد قريش للمسلمين بالقتال، وتأليب عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول، ومن معه من مشركي المدينة على المسلمين، والاتصال باليهود وتشجيعهم على عداوة المسلمين.
4. الحرب الإعلامية البشعة التي شنها، شعراء، وخطباء، وقصاص قريش على نبي الإسلام ﷺ لصد الناس عن الدخول في هذا الدين؛ ولذلك أمر النبي ﷺبقتل النضر ابن الحارث، وعقبة بن أبي مُعيط، وأبي عزة الجمحي بعد غزوة بدر وتوعّد غيرهم من الشعراء والمتقولين بذلك لصدّهم عن سبيل الله.
5. خروج قريش بطراً ورئاء الناس، بفخرها وخيلائها وإصرارها على الإقامة ثلاثاً ببدر حتى تظهر هيبتها في جزيرة العرب، وهذا الأمر فيه صدّ عن الدخول في الإسلام وإظهار المسلمين بمظهر الضعف فلا تجرؤ قبيلة على معاداة قريش.
6. مطالبة قريش بدم عمرو بن الحضرمي الذي قتله المسلمون في بعث عبد الله بن جحش.

7. من أهم الأسباب إرادة الله لهذا الأمر ليكسر شوكة قريش وهيبتها قال تعالى: (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً) [الأنفال: 42].
8. أراد الله للمسلمين (النفير) وهو جيش المشركين، وهو إحدى الطائفتين التي وُعِدَ بها المسلمون ليكسروا شوكة قريش ويرجعوا بالغنائم، فإرادة الله دائماً خير للمسلم، مع إن بعض المسلمين رغب في (العير) وهي القافلة؛ وذلك لسهولة الانقضاض عليها، وهي التي عبر عنها القرآن بقوله تعالى: (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) [الأنفال: 7].

- **المطلب الثاني: أحداثها:**

في رمضان من السنة الثانية للهجرة بلغ رسول الله ﷺ أن عيراً مقبلة من الشام صحبة أبي سفيان صخر بن حرب في ثلاثين أو أربعين رجلاً من قريش، وهي عيرٌ عظيمة تحمل أموالاً جزيلة لقريش، فندب ﷺ الناس للخروج إليها وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالاً كثيراً إلا أنه خرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً لثمان خلون من رمضان واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أمّ مكتوم، فلما كان بالروحاء ردَّ أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة، ولم يكن معه من الخيل سوى فرس الزبير وفرس المقداد بن الأسود، ومن الإبل سبعون بعيراً يعتقب الرجلان والثلاثة فأكثر على البعير الواحد، فرسول الله ﷺ ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً، وزيد بن حارثة وأنَسة وأبو كبشة موالي رسول الله ﷺ وحمزة يعتقبون جملاً، وأبو بكر وعمروعبد الرحمن بن عوف على جمل آخر...، وهلم جراً، ودفع ﷺ اللواء إلى مصعب بن عمير، والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب والراية الأخرى إلى رجل من الأنصار، وكانت راية الأنصار بيد سعد بن معاذ، وجعل على الساقة - أي المؤخرة - قيس بن أبي صعصعة، وسار ﷺ فلما قرب من الصفراء[3] بعث بَسْبس بن عمرو الجهني، وعدي بن أبي الزغباء يتحسّسان أخبار العير (قافلة قريش)، وأما أبو سفيان فإنه بلغه مخرج رسول الله ﷺ وقصده ، فاستأجر

ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخاً لقريش بالنفير إلى عيرهم ليمنعوه من محمد ﷺ وأصحابه، بلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج، ولم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب، فإنه عوض عنه رجلاً كان له عليه دين، وحشدوا ممن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عديٍّ- قوم عمر بن الخطاب - فلم يخرج معهم منهم أحد...

ولما بلغ رسول الله ﷺ خروج قريش استشار أصحابه، فتكلم كثير من المهاجرين فأحسنوا، ثم استشارهم وهو يريد بما يقول الأنصارَ، فبادر سعد بن معاذ ﷺ فقال: يارسول الله كأنك تُعرِّض بنا[4]، فوالله يارسول الله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، فسِرْ بنا يارسول الله على بركة الله... فسُرَّ رسول الله ﷺ وقال: (سيروا وابشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين)[5]، ثم رحل رسول الله ﷺ ونزل قريباً من بدر، وركب ﷺ مع رجل من أصحابه مستخبراً ثم انصرف، فلمّا أمسى بعث عليّاً وسعداً والزّبير إلى ماء بدر يلتمّسون الخبر، فقدموا بعبدين لقريش ورسول الله ﷺ قائم يصلي...، فعرف النبي ﷺ أن قريشاً ما بين التسعمائة والألف...، وأحسّ أبو سفيان بالخطر فعدل بالعير إلى طريق السّاحل فنجا، وبعث إلى قريش يُعلّمهم أنّه قد نجا هو والعير ويأمرهم أن يرجعوا.

وبلغ ذلك قريشاً، فأبى ذلك أبو جهل، وقال: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر، ونقيم عليه ثلاثاً، ونشرب الخمر، وتضرب على رؤوسنا القباب فتهابنا العرب أبداً، فرجع الأخنس بن شريق بقومه بني زهرة قاطبة وقال: إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وقد نجت...[6]، فبادر رسول الله ﷺ قريشاً إلى ماء بدر، ونزل على أدنى ماء هناك فقال له الحباب بن المنذر: يارسول الله هذا المنزل الذي نزلته أمرك الله به؟ أو منزل نزلته للحرب والمكيدة؟، قال: (بل منزل نزلته للحرب والمكيدة) فقال: ليس هذا بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من مياه القوم فننزله ونُعوِّر ما وراءنا من القُلُب[7]، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه فنشرب ولا يشربون، فاستحسن رسول الله ﷺ منه ذلك، وحال الله بين قريش وبين الماء بمطر عظيم

أرسله، وكان نقمة على الكفار ونعمة على المسلمين، مهد لهم الأرض ولبّدها، وبُني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيه باقتراح من سعد بن معاذ...

ومشى ﷺ في أرض المعركة وجعل يُريهم مصارع القوم واحداً واحداً... قال عبد الله بن مسعود: "فوالذي بعثه بالحق ما أخطأ واحد منهم موضعه الذي أشار إليه رسول الله ﷺ"،وبات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي إلى جذم شجرة[8] هناك وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان، فلما أصبح وأقبلت قريش في كتائبها قال ﷺ: (اللهم هذه قريش قد أقبلت في فخرها وخيلائها، تُحادُّك وتُحادُّ رسولك)[9]، ورام حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة أن يرجعا بقريش فلا يكون قتال، فأبى ذلك أبو جهل، وتقاول هو وعتبة، وأمر أبو جهل أخا عمرو بن الحضرمي - وهو الذي قتله المسلمون في بعث عبدالله بن جحش- أن يطلب دم أخيه عمرو فكشف عورته وصرخ: واعمراهواعمراه ، فحمي القوم ونشبت الحرب.

وعدّل رسول الله ﷺ الصفوف، ثم رجع إلى العريش هو وأبو بكر وحده، وقام سعد بن معاذ وقوم من الأنصار على باب العريش يحمون رسول الله ﷺ، وخرج عتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة ثلاثتهم جميعاً يطلبون البِراز[10]، فخرج إليهم من المسلمين ثلاثة من الأنصار وهم: عوف ومعاذ ابنا عفراء، وعبد الله بن رواحة فقالوا لهم: من أنتم؟ فقالوا: من الأنصار، فقالوا: أكفاء كرام، وإنما نريد بني عمِّنا، فبرز لهم عليّ وعبيدة بن الحارث بن المطلب وحمزة ﷺ، فقَتل عليٌّ الوليد، وقتل حمزةُ عتبة، وقيل: شيبة، واختلف عبيدة وقرنه بضربتين فأجهد كل منهما صاحبه، فكرّ حمزة وعلي فتمّما عليه،واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله فلم يزل طمثاً – أي: فاسد الجرح - حتى مات بالصفراء ﷺ، ثم حمي الوطيس، واشتد القتال، ونزل النصر، واجتهد رسول الله ﷺ في الدعاء، وابتهل ابتهالاً شديداً، حتى جعل رداؤه يسقط عن منكبيه، وجعل أبو بكر يصلحه عليه ويقول: يارسول الله بعض مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك، ورسول الله ﷺ يقول: (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض)[11]، فذلك قوله تعالى:(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي

مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال: 9]، ثم أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، ثم رفع رأسه وهو يقول: (أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع)[12].

وكان الشيطان قد تبدى لقريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، زعيم مدلج، فأجارهم وزيَّن لهم الذهاب إلى ما هم فيه، وذلك أنهم خشوا بني مدلج أن يخلفوهم في أهاليهم وأموالهم، فذلك قوله تعالى: (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتْ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ...) [الأنفال: 48]، وذلك أنه رأى الملائكة حين نزلت للقتال، ورأى ما لاقِبل له به، ففرّ وقاتلت الملائكة كما أمرها الله، وكان الرجل من المسلمين يطلب قرنه فإذا به قد سقط أمامه، ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين فكان أول من فرَّ منهم خالد بن الأعلم، فأُدرك فأُسر، وتبعهم المسلمون في آثارهم، يقتلون ويأسرون، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأخذوا غنائمهم، فكان من جملة من قُتل من المشركين ممّن سمَّى رسول الله ﷺ موضعه بالأمس: أبو جهل - لعنه الله - قتله معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوّذ بن عفراء، وتمّم عليه عبدالله بن مسعود، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأميّة بن خلف، فأمر بهم رسول الله ﷺ فسُحبوا إلى القليب، ثم وقف عليهم ليلاً، فناداهم بأسمائهم وبكّتهم وقرّعهم وقال: (هل وجدتم ما وعد كم ربكم حقا، فإني وجدت ما وعدني ربي حقا) فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جُيِفوا؟!، فقال: (والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون الجواب)[13]، ثم أقام رسول الله ﷺ بالْعَرْصة – أي: ساحة بدر – ثلاثاً، ثم ارتحل بالأسارى والمغانم، وقد جعل عليها عبدالله بن كعب النجاري، وأنزل الله في بدر سورة الأنفال، فلما كان رسول الله ﷺ بالصّفراء قسّم المغانم كما أمره الله تعالى، وأمر بالنضر بن الحارث فضُربت عنقه؛ وذلك لكثرة فساده وأذاه لرسول الله ﷺ، فرثته أخته وقيل: ابنته بقصيدة مشهورة، فلما بلغت رسول الله ﷺ قال فيما روي :(لو سمعتها قبل أن أقتله لم أقتله)[14]، قال ابن المنير :وليس معنى كلامه - صلى الله عليه وسلم - الندم ؛ لأنه لا يفعل ولا يقول إلا حقا ، والحق لا يندم على فعله ،

ولكن معناه لو شفعت عندي بهذا القول لقبلت شفاعتها[15] ولمّا نزل عرق الظبية[16] أمر بعقبة بن أبي معيط فضربت عنقه أيضاً صبراً.

ثم إن النبي ﷺ استشار أصحابه في الأسارى ماذا يصنع بهم؟ فأشار عمر بن الخطاب ﷺ بأن يُقتلوا، وأشار أبو بكر ﷺ بالفداء، وهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر فحلّل لهم ذلك، وعاتبه الله في ذلك بعض المعاتبة في قوله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[الأنفال: 67]...، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أربعمائة أربعمائة[17]، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مؤيّداً منصوراً قد أعلى الله كلمته ومكّن له، وأعزّ نصره، فأسلم حينئذ بشرٌ كثير من أهل المدينة، ومن ثَمَّ دخل عبدالله بن أُبَيٍّ بن سلول وجماعته من المنافقين في الدين تَقِيّةً[18].

وجملة من حضر بدراً من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، من المهاجرين ستة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون، وإنما قلَّ عدد رجال الأوس عن عدد الخزرج وإن كانوا أشدّ منهم وأصبر عند اللقاء؛ لأن منازلهم كانت في عوالي المدينة، فلما نُدبوا للخروج تيسّر ذلك على الخزرج لقرب منازلهم...

وأما المشركون فكانت عدتهم كما قال ﷺ ما بين التسعمائة إلى الألف، وقُتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً: ستةٌ من المهاجرين، وستةٌ من الخزرج، واثنان من الأوس، وكان أول شهيد يومئذ مهجع مولى عمر بن الخطاب ﷺ، وقيل: رجل من الأنصار اسمه حارثة بن سراقة، وقُتِل من المشركين سبعون، وقيل: أقل، وأُسر سبعون، وفرغ رسول الله ﷺ من شأن بدر والأسرى في شوال.

- **المطلب الثالث: أسباب انتصار المسلمين:**

لا شك أن لانتصار المسلمين العجيب على المشركين في هذه الغزوة أسباب يجب الوقوف عندها، وسبر أغوارها، والاستفادة منها، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي:

1. قوة إيمان النبّي ﷺ وأصحابه الكرام، وشدة توكلهم على الله؛ فقد كانوا يقاتلون من أجل قضية عظيمة، يدفعهم إيمان عميق، ويقين صادق بصحة ما يفعلون وجدواه في الدنيا والآخرة.
2. قتال الملائكة مع المؤمنين بفضل من الله سبحانه، قال تعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ) [الأنفال:].
3. دعاء النبي ﷺ والمسلمين لربهم واستغاثتهم به؛ فالدعاء والاستغاثة بالله –سبحانه – من أعظم الأسلحة التي يتسلح بها المؤمن في حياته ، وضد أعدائه ، ومشاكله وهمومه ؛ وقد دعا النبي –ﷺ- ربه في هذه الغزوة كثيرا ، ورفع يديه حتى سقط رداؤه من على منكبيه.
4. تهيئة المكان للمسلمين من الله سبحانه؛ وذلك بنزول الغيث لتطهيرهم وتنشيطهم، وتثبيت الأرض تحت أقدامهم، وكذلك بالنعاس الذي حصل لهم قبيل المعركة من الله سبحانه أمنة وسكينة.
5. أَخذُ المسلمين بالأسباب، واستخدام الوسائل المُتاحة لهم وتطبيق الخطة التي أعدها الرسول ﷺ والوقوف عند أوامره ونواهيه.
6. استشارة النبي ﷺ لأصحابه وأخذه بآرائهم؛ للاستفادة منها، وللرفع من معنويات أصحابه بهذه المشاركة في الرأي، ولتعويدهم على هذا الأسلوب عند مواجهة الحروب، وإرسال رسالة لكل الأجيال بأهمية الشورى.
7. شجاعة النبي ﷺ وأصحابه، واستبسالهم في سبيل نصرة دينهم والموت في سبيله، فقد ضربوا أروع الأمثلة في البسالة كما تبين من أحداث الغزوة.
8. وضوح النية والقصد عند المسلمين، فهم يقاتلون من أجل غاية سامية ومبدإ عظيم، وقضية عادلة... أمّا المشركون فيقاتلون بطراً ورياء، أو حسداً وحقداً، أو طمعاً وغروراً، ينتابهم الشكّ، وليسوا على كلمة واحدة.

1. ضمان النتائج عند المسلمين؛ فهم يعلمون علم اليقين أنهم فائزون في كل حال؛ إمّا بالشهادة وهي الطريق إلى الجنة، وإمّا بالنصر والتمكين في الدنيا، وقد بشّرهم النبي ﷺ بإحدى الطائفتين.
2. رجوع بعض من خرج مع المشركين لما علم بنجاة أموالهم ؛ حيث لم يحرص المسلمون على توسيع دائرة الخلاف مع المشركين، بل كانوا يقللون من أعدائهم قدر المستطاع، ولم يكن كثير من المشركين بذلك في حاجة لعداوة المسلمين.

المبحث الثاني: نتائج الغزوة، والدروس المستفادة منها

- **المطلب الأول: نتائج الغزوة:**

لقد كان لغزوة بدر الكبرى نتائج باهرة على كل المستويات؛ دينيا، وعسكريا، واقتصاديا، وسياسيا، وكانت هذه النتائج في مصلحة المسلمين، ومن أهم هذه النتائج ما يلي:

1. ازدياد الإيمان في نفوس الصحابة، وازدياد ثقتهم في الطريق الذي سلكوه؛ فهذا النصر العظيم الذي حققه الله لهم - مع الفارق الكبير بينهم وبين أعدائهم في العدد والعدة – ليدل دلالة قاطعة على عون الله لهم، ووقوفه بجانبهم، وهو دليل على صحة طريقهم، وصواب اختيارهم، وكذلك ازداد عدد الداخلين في الإسلام بعد هذا الانتصار الكبير، كما ورد سابقا في أحداث السيرة.
2. ومن النتائج العسكرية التي تحققت لهم:

ازدياد القوة العسكرية والقدرات القتالية، واكتساب الخبرة بهذه التجربة القتالية التي كان النصر فيها حليفا للمسلمين.

ازدياد عدد المقاتلين في صفوف المسلمين كما هو واضح من خلال غزوة أحد، وهي بعد هذه الغزوة بعام؛ حيث كان عدد جيش المسلمين ألف مقاتل عند خروجهم، ثم استقر على سبعمائة مقاتل بعد انخذال عبد الله بن أُبيّ بثلث الجيش، بينما كان عدد المسلمين في غزوة بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، ازدياد الروح المعنوية، والشجاعة في القتال في

نفوس الصحابة بعد تحقيقهم لهذا الانتصار الباهر، قام النبي - ﷺ- بإرسال البعوث والدوريات والسرايا للمناطق المجاورة للمدينة، لإثبات قوة المسلمين وقدراتهم العسكرية، وتأديب المتربصين الذين يتحينون الفرص لضرب المسلمين ونهب ثرواتهم، وقد آتت هذه السرايا أكلها، وأثبتت جدواها، وفرضت هيبة الدولة الإسلامية، وأشعرت المسلمين، وسكان المدينة عموما بالأمن والاطمئنان.

3. ومن النتائج الاقتصادية: حصولهم على الغنائم، وقيمة فداء الأسرى، وهو نظام معمول به عند انتهاء الحروب، وقد كان محرَّما على الأمم السابقة ثم أحله الله لهذه الأمة. نزلت بعد هذه الغزوة سورة الأنفال مبينة كثيرا من الأحكام الشرعية ومن بين هذه الأحكام ما يتعلق بالغنائم؛ حكمها، وكيفية قسمتها... قال تعالى: (فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً) [الأنفال: 70]، وقد استطاع المسلمون بهذه الغنائم تعويض الأموال التي خسروها بمكة بسبب الهجرة واعتداء المشركين على تلك الأموال.
4. أما من الناحية السياسية، فبعد هذا الانتصار، ترسخت الدولة الإسلامية وصارت واقعا موجودا لا يستطيع إنكاره المشركون أو اليهود، أو قبائل العرب الأخرى؛ ودخل كثير من الناس الإسلام، واضطر المنافقون إلى إظهار الإسلام وإضمار الكفر؛ وذلك لما رأوا من إعزاز الله للمؤمنين ودحر للكافرين، وصالحت بعض القبائل العربية القريبة من المدينة المسلمين وأظهرت حسن الجوار معهم.
5. ومن ناحية أخرى فإن هذا الانتصار كشف المنافقين وأظهر سلوكهم وسوء نواياهم مع المسلمين فإنهم كانوا يتوقعون ويتمنون أن ينتصر المشركون على المسلمين، ويكفونهم مئونة عداء المسلمين وقتالهم، فلما انتصر المسلمون بفضل الله تعالى كشَّر اليهود عن أنيابهم، وأظهروا عداوتهم للإسلام ونبي الإسلام.

- **المطلب الثاني الدروس المستفادة من غزوة بدر**

1- استحلال أموال الحربيّين، وهم الذين أعلنوا الحرب على المسلمين، واغتصبوا أموالهم في مكة وفي المدينة، وقد سبق بيان إحلال الله –سبحانه – الغنائم للمسلمين تعويضا لهم على ما سلب من أموالهم، وأنه من الأحكام الناسخة لما كان من تحريم لهذه الغنائم في الأمم السابقة، وقد دل خروج النبي - ﷺ- للقافلة على جواز النفير للغنيمة؛ لأنها كسب حلال(19).

2- الدعوة إلى دين الله وكسر شوكة أعداء الإسلام بالجهاد في سبيل الله أهمّ من جمع الغنائم والاستيلاء على أموال المحاربين، فجمع الغنائم لم يكن هو المقصد من هذا القتال ؛ ولو كان هو المقصود لمكن الله –سبحانه – المسلمين من الاستيلاء على القافلة المحمَّلة بالأموال الكثيرة وهو ما كان يريده بعض المسلمين.

قال تعالى:(وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) [الأنفال: 7].

3- أهمية الشورى ومدى تطبيق النبي ﷺ لها عملياً، فمبادئ الإسلام ليست مجرد شعارات، أو نظريات؛ بل هي واقع عملي وتطبيق حقيقي، فإذا كان النبي - ﷺ- المعصوم ، والمؤيد بالوحي قام بتطبيقها أيَّما تطبيق فمن باب أولى أن يطبقها غيره من الساسة والقادة في شتى المجالات، وفي كل الأوقات.

4- إعلان الحرب يخضع للسياسة الشرعية، ويكون حسب ظروف المسلمين العسكرية والاقتصادية ، ويكون بعد تشاور مع أهل الحل والعقد، أو مجلس الحرب، أو ما في حكمها إذا اختلفت المسميات.

5- إصرار النبي ﷺ على سماع رأي الأنصار في القتال من عدمه فيه احترام لرأيهم، والتزام بمبدأ بيعة العقبة الثانية التي بايع فيها الأنصار على حماية المسلمين داخل المدينة لا خارجها.

6- ردّ سعد بن معاذ فيه دلالة على قوّة إيمانه، وإيمان الأنصار، والتزامهم بأحكام الإسلام، وحمايته داخل المدينة وخارجها.

7- يجب على المجاهدين خاصة، والمسلمين عامة أن يكون إيمانهم بالله قويّاً، وثقتهم بنصره للمسلمين كبيرة، كما كان الصحابة في هذه المعركة ؛ لكي يربحوا الدنيا والآخرة.

8- أهمية التضرع إلى الله والاستغاثة به، لا سيما في وقت الحرب، وهو من الأوقات التي تستجاب فيها الدعوة ؛ فالدعاء أفضل سلاح يتسلح به المسلم في هذه الميادين.

9- على قدر إيمان المجاهدين وتوكلهم على الله يكون العون لهم من الله سبحانه.

10- وضع الخطط العسكرية، وبث العيون، وتحريض الجند على القتال، واستخدام الوسائل المتاحة مطلوب ومشروع[20].

11- يجب على المسلم في حال النصر أن يردّ السبب إلى الله سبحانه، وأنه لولا عون الله ومدده لما انتصر المسلمون على أعدائهم.

12- بيّنت مسألة الأسرى واستشارة النبي ﷺ فيهم أصحابه أنّ الأولى في مثل هذه الأوقات هو قتلهم، ويجوز فداؤهم كما فعل النبي ﷺ، أو المَنُّ عليهم بإطلاق سراحهم، حسبما تقتضيه مصلحة المسلمين، ويقرره أهل الحل والعقد منهم.

13- يعتبر تحليل الغنائم لهذه الأمة من النعم التي أنعم الله بها عليهم، وهي من خصائص أمة محمد ﷺ، وكانت في الشرائع السابقة تُجمع الغنائم ثم تنزل نار من السماء فتحرقها[21].

الخاتمة

1. غزوة بدر الكبرى كانت دفاعا عن المسلمين أنفسهم، وأموالهم، وحريتهم في اعتناق الدين الذي آمنوا به ودخل إلى قلوبهم، وهي كسر للهيمنة القرشية التي كانت سائدة في جزيرة العرب وحائلة بينهم وبين حرية الاعتقاد.
2. امتلأت هذه الملحمة بالدروس والعظات والعبر التي تهم المسلم في كل زمان ومكان؛ فكانت بحق كتابا مفتوحا يستقي منه المسلمون الدروس والعبر إلى يوم القيامة.
3. تغيرت بعد هذه الغزوة الكثير من الأحكام الشرعية الخاصة بالتعامل مع الأعداء المحاربين، وأحكام الغنائم، وأحكام الجهاد في سبيل الله... فكانت بحق بداية لمرحلة جديدة من المراحل التي مر بها المسلمون؛ بل التي مرت بها الإنسانية قاطبة.
4. أعطت هذه الغزوة بما فيها من صفح، وحلم، وعفو، ورحمة... الصورة الواضحة عن الدين الإسلامي بقيمه الرائعة، ومبادئه السامية النبيلة.

هوامش البحث :

1- الألباني، محمد ناصر الدين ، تخريج أحاديث كتاب فقه السيرة لمحمد الغزالي ، ط/7، القاهرة، دار إحياء التراث العربي،1976م ، وقال : حديث صحيح ، ورواه ابن هشام في السيرة النبوية 60/2.

2- قرية كثيرة النخل والمزارع، وهي الطريق بين مكة والمدينة ، عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، بيروت، دار إحياء التراث العربي 1408ه ـــ1989م ، ص157.

3- أي : تقصدنا، وتعنينا، وكان ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يقصدهم؛ لأنهم أكثر الناس ، ولأن الأنصار بايعوا في بيعة العقبة على حمايته داخل المدينة لاخارجها ، محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، القاهرة، دار السلام 1424هـ ـــــ2004م ص156.

4- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة ج7 ص230 وقال رواه ابن هشام، وابن أبي شيبة ، وروى بعضه البخاري .

5- ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير،ط/2 بيروت، دار الآفاق الجديدة 1400هـ ــ1980م ج1 ص299.

6- أي : نردم الآبار، وندفنها ؛ فلا ينتفعون بمائها، سيرة سيد المرسلين، تأليف جماعة من كبار العلماء، ط/2 بيروت دار الآفاق الجديدة،1399ه ــ1979م، ص82.

7- أي: أصل شجرة ؛ وهو مابقي من جذعها ، اتخذه سترة .

8- مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة دار زهران ج5ص157 ، وبعضه عند البخاري ، مرجع سبق ذكره ج6 ص231.

9- وذلك أن أبا جهل عيَّر عتبة بالجبن لما أراد عتبة أن يرجع بقريش،ابن سيد الناس، مرجع سبق ذكره ج1ص304.

10-صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، المنصورة، دار الوفاء 1424هـ ــ2003م ص200.

11-عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، مرجع سبق ذكره ، ص165، والثنايا : الأسنان، والنقع : الغبار ، وهو كناية عن مشاركته في القتال .

12-ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق إبراهيم الجمل، القاهرة دار القلم للتراث ، ج2 ص155.

13-وقد قالت فيها...

أمحمد يا خير ضنو كريمة — في قومها والفحل فحل معرق

ماكان ضرك لو مننت وربما — منَّ الفتى وهو المغيظ المعنق

ابن سيد الناس ، مرجع سبق ذكره، ج1ص349.

14-حسن محمد المشاط، الجواهر الثمينة في أدلة عالِم المدينة، بيروت، دار الغرب الإسلامي ص260.